(٧٧)

"لسنا مستنسخين"

انتظرت مولودها الأول بفارغ الصبر بعد عدة أعوام من عدم الإنجاب، ولما احتضنته بين يديها شعرت أنه ليس كبقية الأطفال، ومع ذلك لم تلتفت لما يميزه عن غيره من الأطفال؛ لأن فرحة تحقق الأمانى البعيدة شغلتها عما سواها من أمور. وبعد عدة أشهر بات الأمر الواقع ماثلاً أمام عينيها ليل نهار، وواضحًا فى غير حاجة لاستنكار. ومع كل يوم كانت تقلب فى وحيدتها الرضيعة، كانت تنتظر أن يتغير ما كان بها أو يتبدل حالها، ولكن دون جدوى، فلم تجد أمامها سوى عرضها على الطبيب المختص ليتابع حالتها، ويدلها على الطريقة السليمة للتعامل معها.

كانت صعوبة تقبل الأم لوضع ابنتها المختلف عن بقية الأطفال ليس بالأمر الهين عليها ولا على زوجها، الذى لم يكن يتصور أن تكون ابنته الوحيدة، التى طال انتظاره لها، طفلة غير طبيعية، بل طفلة مريضة ستصاحبها علتها هذه طوال حياتها، لذا ليس أمام الجميع سوى الامتثال للأمر الواقع، وتقبله بسكينة واطمئنان، والاستعداد كل يوم للتأقلم معه بلا غضبٍ أو قنوط.

لم يجد كلا الأبوين غير سلاح الرضا والصبر ليتسلحا به طلبًا للسعادة التى ظنا أنهما سيحصلان عليها مع قدوم مولودهما الأول، فإذا بها قد فرت منهما هربًا بدون أية رغبة منها فى تلبية الاستدعاء. ولم يكن أيٌ من الرضا أو الصبر صديقًا

لأحدهما إلا بعد سنوات من عمر ابنتهما الصغيرة التى أخذت تكبر، ويكبر معها فهم والديها لكون البشر ليسوا مستنسخين، بل هم بالفعل مختلفون. فكل إنسان منهم هو فرد واحد يمكن تمييزه، كما يمكنه هو أن يتميز عن كل من سواه، إذا أراد لنفسه ذلك التميز فى الحياة، فيعزم بقوة أن يختار لنفسه وبنفسه التمسك بحياته، مقدرًا لنعمة وجوده حتى لو كان ذلك الوجود ذا هيئة وشكل لم يخترهما لنفسه، ومُدرِكًا أن منحة الوجود هذه يتساوى فيها مع غيره من الموجودات، بينما نِعَم الحياة المتعددة قد قُسِمت بين البشر جميعًا بقدْرٍ مقدور لا بالتساوى، فيختلف كل واحد عن غيره فى قدْر كل مفرد من مفرداتها، بينما يتساوى الجميع فى مجموعها.